كتاب بلوغ المرام

ومراده منه

(لكل من القاضي حسين العرشي والاب انستاس
الكرملي طبع بمصر سنة ١٩٣٩ صفحاته ٤٠٤٢)

نُشر هذا الكتاب المسمى (بلوغ المرام في من تولى اليمن من ملكٍ وإمام) على الطريقة (الشكيبية) أعني ان ناشره زميلنا الفاضل الأب انستاس اضاف الى الكتاب من نتائج علمه ومجهودات بحثه ملاحق جعلته في (٤٤٢) صفحة فقط بعد ان كان اصله في ٨٢ صفحة : مؤلف الكتاب القاضي حسين بن احمد العرشي يَمَنيٌ معاصر : نظم قصيدة في ملخص تاريخ اليمن منذ الفتح الاسلامي الى زمنه الحاضر سماها (مسك الختام) ثم عمد الى القصيدة فشرحها شرحاً قليلاً في لفظه كثيراً في معناه. وسماه (بلوغ المرام في شرح مسك الختام) .ومن دأب الاب أنستاس ان يحرص على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

استيعاب اخبار اليمن والاطلاع على ما وضع فيها من المصنفات : فكان يجد في بعضها قصوراً وفي بعضها تقصيراً . حتى ظفر بكتاب القاضي العرشي فأعجبه واشتراه مؤملاً انه بخط المؤلف ثم تبين له انه بخلاف ذلك . في قصة اشار اليها في مقدمة الكتاب ثم فصلها في ص ٢٤١ . وقد قال الاب في المقدمة انه لم يجد اثراً لترجمة المؤلف ولم يهده احد اليه : لافي صنعاء ولا في بغداد ولا في القاهرة . وكل ما استنتجه بشأنه في مطاوي تأليفه انه زيدي المذهب وانه كان حياً سنة ١٣١٨ هـ

ومن محاسن المصادفات ان يكون في زيارتي حين تصفحي للكتاب (جميل بك نوري) نزيل دمشق وهو ابن اخت محمود نديم باشا المشهور الذي تولى اليمن في آخر العهد العثماني . فأطلعته على الكتاب وسألته عن القاضي حسين العرشي مؤلف (بلوغ المرام) وقرأت له ما ذكره ناشره الاب الكرملي في الملحق الأول (ص ٩٢ و ص ٩٣) من خبر البعثة الانكليزية التي جاءت الحديدة في طريقها الى صنعاء (سنة ١٩١٨ م) فصدتها قبيلة (القحرى) . فقال : ان ما قاله الاب في هذه الحادثة صحيح لكنه يحتاج الى تعديل في بعض اخباره : لأني كنت مع خالي (محمود نديم) يوم قدوم البعثة وقد شاركته في تلافي الحادثة وفي يدي وثائق باللغتين الانكليزية والعربية تتعلق بتلك الحادثة .

ثم أطلعني جميل بك على الوثائق المذكورة . فقلت له : ان قراء مجلتنا لا يعنيهم تحقيق أمر هذه الحادثة من الوجهة السياسية وانما يهمهم امر القاضي حسين العرشي مؤلف (بلوغ المرام) الذي قال ناشره المحترم انه لم يجد له أثراً . ولم يرو له أحد عنه خبراً . فقال : إني اعرفه معرفة شخصية كما أعرف القاضي عبد الله العرشي الذي عينه الامام معتمداً في (عدن) للمفاوضة مع البعثة والاعتذار اليها . حسبما ذكره الأب الكرملي في ص ٩٣ ثم قال : والقاضي عبد الله هذا هو ابن اخي القاضي حسين مؤلف بلوغ المرام . وكلاهما من (العرش) وهي قرية صغيرة في بلاد (خولان) إحدى مخاليف اليمن . وهذان القاضيان معروفان بالانتساب الى امام اليمن ومن المقربين لديه وكلاهما من قضاة اليمن . و(القاضي) في اصطلاح اليمانيين لقب تبجيل وتعظيم يدل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على فضل صاحبه وعلمه . كما تقول في بلادنا (الفقيه فلان) وليس القاضي عندهم بمعنى الموظف الموكول اليه فصل الخصومات كما هو الشأن عندنا وانما ، هذا يسمى في اصطلاحهم الحاكم الشرعي »

ولكن الاب انستاس فسر (القاضي) في ص ٤٣١ بكل من يعرف القراءة والكتابة . وهذا التفسير يوشك ان يكون تفسيراً لكلمة (الافندي) التركية في اول نشأة استعمالها في بلادنا . على ان تفسيره هذا لا يلائم قوله في ص ٢٤٩ (بمناسبة سعة اطلاع القاضي العرشي على اخبار اليمن واحداثها) ما نصه (وهذا لأن العرشي كان قاضياً والقضاة يضطرون الى مراجعة كتب كثيرة بخلاف أهل العلم فانهم قد يتفرّدون ببعض الكتب دون غيرها) فان هذا القول على غموض المراد منه يشعر بأن القاضي العرشي كان ذا وظيفة أو عمل غير القراءة والكتابة وانه يقوم به دون سائر علماء بلاده . فأيّ التفسيرين لكلمة القاضي نعتمد ؟

نرجع الى الكتاب المنشور : رأى الأب الناشر ان كتاب (بلوغ المرام) على وفائه بالحاجة السياسية من تاريخ اليمن لا تزال فيه امور يعوزها البيان . فأتبعه بملاحق من عنده :

(الملحق الأول) بلغ المؤلف العرشي في سرد حوادث اليمن الى سنة (١٩٠٠ م) فتتبع الاب بقية حوادثها الى سنة ١٩٣٤ م التقطها من الجرائد ومن معلوماته الخاصة (الثاني) في بلدان اليمن وقبائله (الثالث) مطامع الغربيين في اليمن (الرابع) الاتفاقيات والمعاهدات بين اليمن والدول

فالقارئ يقول ها قد انتهى الكتاب . نعم ولكن إتقان الاب الكرملي لم ينته : فعقد الفصول التالية وضمنها قصة شرائه مخطوطة (بلوغ المرام) ثم وصف المخطوطة ونقدّها من جهة الرسم والنحو واللغة والأسلوب . وعزا كلّ ذلك الى الناسخ لا الى المؤلف الذي اثنى عليه . ووازن بين تاريخه وتاريخ غيره ، فرجحه . وذكر شيئاً من محاسنه . ثم قال : انه هو عاد فعلقت يده بنسخة من الكتاب أجود وأتقن من التي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اشتراها . وعقد فصلاً للراجع التي استند اليها في ملاحقه : وهي ستة عشر مرجعاً أو كتاباً . وتكلم عن كل واحد من هذه الكتب بالتفصيل . وقد عنون هذا الفصل بقوله (المتجعات التي ارتدناها) ولم يعجبنا هذا العنوان : فان فيه تكلفا . واين قوله هذا من قولهم (المراجع التي اعتمدنا عليها أو استندنا اليها) . فان الفصحاء في مثل هذا المقام يقولون اشتبه علينا امر كذا فرجعنا الى كتاب كذا . وقد أصبحت كلمة (المرجع والمراجع) اصطلاحاً للمؤلفين مثل قولهم (الباب) و (الفصل) و (المقدمة) ونحو ذلك . أما كلمتا (اتجعنا) و (ارتدنا) فمن الكلمات الأدبية التي تستعمل في مقام الخطابة والشعر ونحوهما . وعند الافرنج كلمة (البيليوغرافيات) بمعنى (المراجع)عندنا . فهل نراهم يعدلون عنها الى غيرها حتى يجوز لنا نحن ان نصنع صنيعهم ؟!

وصلنا في الكتاب الى ص ٢٧٦ وبقي منه ١٦٧ صفحة فبماذا مُلئت ؟ مُلئت فصلاً تضمن تصحيح هفوات سبقت في الكتاب وملاحقه الاربعة مع اضافات وفوائد واستدراكات .

قال الناشر : اعتمدنا في بعضها على ولدنا (العلامة روكس بن زائد العزيزي) استاذ العربية في احدى مدارس شرق الاردن . وقد اثنى الاب على هذا الشاب الذي آزره في عدة مواطن من الكتاب .

ثم جاء دور الفهارس وأولها فهرس لتحليل المباحث التاريخية وفهرس للكتب والجرائد الوارد اسمها في الكتاب وملاحقه وفهرس للنباتات وآخر للمعادن وآخر للأخلاق والعادات وآخر للجبال والآكام وآخر للبحار والأنهار والأودية وآخر للأديان والمذاهب وآخر لأسماء الأمم والشعوب وآخر للقرى والاماكن وآخر للملقبين بالباشا من ترك وعرب . وآخر للدول والبعثات والثورات والشركات والمجامع الخ . وآخر لأسماء الرجال والنساء والبيوت والعشائر . وآخر لأسماء أئمة اليمن خاصة وآخر للألفاظ المستعملة في اليمن . وآخر لألفاظ يمانية لم ترد في الكتاب المنشور وانما زادها الناشر للافادة . والفهرس التاسع عشر هو فهرس للفهارس السابقة كلها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أرأيت أيها القارئ كيف ان هذا الكتاب بملاحقه وفهارسه أصبح أشبه بدائرة معارف للمملكة اليمانية وقد وسع كل ماله علاقة بها ؟

أرأيت أننا تعلمنا معشر الشرقيين من ناشري الكتب الغربيين طريقة إلحاق الفهارس والاستدراكات فأربينا عليهم ، وتقدمناهم أشواطاً .

أرأيت كيف ان زميلنا العلامة رأى في كتاب (بلوغ المرام) جوانب مظلمة فألقى عليها من حسن بيانه نوراً بهرَ عيون القراء . وقد يكون من شدة الظهور الخفاء .

وقد أعجبنا من صنيع الناشر الفاضل احصاؤه طائفةً من الألفاظ المستطيرة في جنبات اللهجة اليمنية وتخصيصه فهرسين جمع فيهما شواردها وقيّد أوابدها : (الدِمَّة) هي القطة (الزامل) النشيد الوطني (الطفش) البرنيطة (العرك) صيادو السمك (الفرّار) الزئبق (النطار) حارس الزرع (النقل) الحجارة (اليرعشية) السيوف (الجيد) الجبل (الرزيم) مصرع القتيل (الزرط) الخفاش (سعْ) مثل : يقال فلان وفلان سع في نظري اي هما متماثلان (الشقران) الفراريج (شل) المكانَ احتله (الضاح) السراج (العنبرورد) الكمثرى (القشمي) الفجل (قنبر يقنبر) جلس يجلس (الكتان) البق الدبّاب الخبيث الرائحة (المردم) الزاوية (الهدس) شجر الآس (الوينان) يريدون اليونان . قال : والسفن المستعملة في سواحل بحر اليمن يسمى أصغرها : الهوري فالقطيرة فالزعيمة فالسنبك فالساعية فالبغلة فالسفينة . الى غير ذلك من الألفاظ التي كان للأب المحترم فضل عظيم في التقاطها وتنسيق دررها . وياليته عمد الى البحث في أصول هذه الألفاظ وبيان ما اذا كانت حميرية او حجازية أو أعجمية . ولو فعل لجرى من عادته على عِرْق . ولاستنّ في ميدان لا يزال له فيه السبق .

ويتخلل قوائم هذه الألفاظ اليمانية التي جمعها الناشر الفاظ أخرى شائعة في جوانب لهجتنا السورية واللبنانية كما انها نفسها منبثة في اللهجة اليمانية . وما كان لذكرها معنى ولا فائدة في هذه القوائم : اذ أن المفيد للقارئ أن يعرف مافي لهجة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غيره مما ليس في لهجته . أما ما اشتركت اللهجتان (اليمنية والشامية) فيه فليس بالأمر العجيب ، ما دمنا عرباً في عنصرنا ، عرباً في لغتنا . وما الفائدة في أن يقال لنا ان اليمانيين يقولون في لغتهم اليومية : للآجر آجر . وللأركيلة أركيلة . وللألاجة الاجه وللألماس ألماس ولأمير الجيش امير الجيش . وللحنطة حنطة وللبرنيطة قبعة ولمن تبختر في مشيته تبختر . وحط على المكان نزل فيه ، واخذه بحذافيره . ورجال وجمعه رجاجيل (وهؤلاء اللبنانيون يقولون في أغانيهم الشعبية : لا تفتكر ياعلي حوالك رجاجيل يابا) والزورق والطاقية والفلوكة وقشّ الزبد اذا كشطه والقهوة والكفتا واللبن والمحطة والمسرح والمقهى والنارجيلة والنبريش والنشا وإحنا (بمعنى نحن) واصحاب اي اصدقاء والبابور والبيور والتتن والتنبك والتنور والجبّانة . والحزام والحلبة والخافقية (لنوع من آنية الطعام) والخبز والخزامى والخيار والشباك والطاقة (اي النافذة) والصحن للطعام . والصيني (للآنية المجلوبةمن الصين) والطواشي للخصي . والعوّامة للحلوى المستديرة المدملكة . والغليون الذي يمص به الدخان والقضاء والماهية لراتب الموظف . والمحبوس وجمعه محابيس . والمكتب للمدرسة ووقعت صاعقة في مكان كذا) كل هذا مما ننطق به في شامنا كما ينطق به اليمانيون في يمنهم ومن البعيد ان يكون الأب المحترم شاميـاً لبنانيًا ثم لا يعلم ان هذه الكلمات من بنات وطنه . فهل نسيها ياترى ؟!

ومما لاحظناه على الاستاذين مؤلف الكتاب وناشره أنهما لم يشيرا الى ان قصيدة (مسك الختام) التي نظمها المؤلف وشرحها — قد حذا فيها حذو قصيدة من اشهر قصائد الأدب العربي وقال النويري هي من أمهات القصائد : فان القصيدتين من فرد بحر وقافية وموضوع . وليس هذا فقط بل ان سرد حوادث التاريخ في القصيدتين متشاكل . وجرس الكلمات وإيرادها متوائم . حتى ان من سمع قصيدة العرشي خيل اليه أنه يسمع القصيدة الأخرى وان كان بين القصيدتين فرق كبير من جهة بلاغة القول ونقاء الديباجة وجودة السبك . واعني بها قصيدة الوزير ابن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عبدون التي رثى بهـا أولياء نعمته الملوك من بني الأفطس : فقد سرد ابن عبدون الكوارث التي حلت بالملوك الماضين كارثة كارثة واتخذ من فجائعهم أسوةً للفجيعة ببني الأفطس :

مطلع قصيدة العرشي اليمني :

في صورة الدهر ما أغنى عن العبر ... لذي فؤادٍ وذي فهم وذي نظر
خداعة وهي في التحقيق شيمتهـا ... مكارة وهو عيب غير مستتر
وفرَّشت ذهبـاً للمالكين بهـا ... لكن حشتها حِدَاد الشوك والإبر

وقال ابن عبدون :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر ... فما البكاء على الاشباح والصور
فلا يغرنك من دنياك نومتهـا ... فمـا صناعة عينيها سوى السهر
تسرُّ بالشيء لكن كي تغرَّ به ... كالأيم ثار الى الجاني من الزهر

وقال العرشي :

وما أمدَّت بني العباس نجدتهـا ... الا بجيش زوالٍ غير منتهر
وألبست ثوب هولٍ من خياطتها ... بني زيادٍ على منصوبة الجدر
ولا ابن مهديّ لما قام معتجراً ... زادته الا مزيد النقص في العمر
وما حمت جعفراً في داره وله ... معاقل مُلئت بالحزم والحذر
وفوَّقت لبني الضحاك أسهمهـا ... ولم تدع لبني المنتاب من أثر

وقال ابن عبدون :

هَوَتْ بدار وفلَّت غربَ قاتله ... وكان عضباً على الأملاك ذا أثر
واسترجعت من بني ساسان ما وهبت ... ولم تدع لبني يونان من أثر
وما أعادت على الضليل صحته ... ولا ثَنتْ أسداً عن ربها حُجر
وخضبت شيب عثمان دماً وخطت ... إلى الزبير ولم تستحي من عمر
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا ... رَعتْ عياذته بالبيت والحجر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذه المقارنة بين القصيدتين ان كانت فاتت المؤلف الشارح فما كان ينبغي ان تفوت المحقق الناشر لما في ذلك من الفائدة للناشئين المتأدبين

ولا يقدح هذا في قيمة الكتاب المنشور . ولا في جهود ناشره الذي بلغ من الشهرة في خدمة لغتنا الشريفة والحرص على نشرها وتحقيق ألفاظها مبلغاً لا يحتاج معه الى ثناء . وانما يحتاج الى دعاء ، بأن يطيل الله عمره ، ويُدني من يد المجتنين ثمره

المغربي